الإخلاصُ في الحجِّ

(30- ذو القعدة -1438هـ)

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أمّا بعد:

فإنّ الحج يا عباد الله عبادة جليلة يحبها الله تبارك وتعالى وقد ترتب عليها من الثواب والأجور الشيء الكثير. ولو لم يكن في الحج إلا قول النبي ﷺ: **(من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**. ولو لم يكن فيه إلا قول النبي ﷺ: **(العمرة إلى العمرة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)**. ولو لم يكن فيه إلا قول النبي ﷺ: **(تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة)**. لو لم يكن إلا هذه الأحاديث لكان هذا دافعًا إلى الجدِّ والسعي في بلوغ تلك العرصات المباركة وأداء تلك المناسك العظيمة.

أيُّ فضل أعظم يا عبد الله من أن ترجع إلى بيتك وقد تطهرت من الأدناس والأوحال، عدت طاهرا نقيا كفّر الله جل في علاه عنك سيئاتك. أليس هذا أعظم المطالب؟

لما جاء عمر بن العاص رضي الله عنه إلى النبي ﷺ لأجل أن يسلم بسط النبي ﷺ يده له ليبايعه فقبض عمرو يده وقال: أشترط قال: وما تشترط قال: أشترط أن يغفر لي. فقال النبي ﷺ: **(أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَه وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَه)**. الله أكبر ما أعظمها من ثمرة جليلة لحج بيت الله العظيم!

لكن اعلم يا رعاك الله أنّ الحجّ حتّى تنتفع بثوابه وتنال آثاره لا بد أن يكون حجا متقبّلا. فإن لم يكن متقبّلا فإنك تعود كما ذهبت وليس إلا التعب والنصب. إنما إن تقبل الله حجك فأبشر بالخير.

والله عز وجل قد بيّن لنا من الذين يتقبل منهم. أليس الله ﷻ يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:27]. إذن المتقي هو المؤهل لقبول الله عملَه. ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:27] فمن المُتَّقِي في هذه الآية؟ قال العلماء: المراد أنّ الله يتقبل عمل المتقي في عمله من اتقى الله في عمله قبل الله عمله.

❑ وكيف أتّقِي اللهَ في عملي؟

الجوابُ: بأن تحرصَ على تحقيقِ أمريْن:

۞ أن تحرص على تحقيق الإخلاص لله في عملك،

۞ وأن تحرص على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في عملك.

لا تعبد إلا الله ولا تعبد الله إلا بما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ها هنا وها هنا فقط تكون متقيا فيقبل الله عملك.

الإخلاص وما أدراك من الإخلاص! كل الأعمال هباء لا قيمة لها إن لم تؤسَّسْ على قاعدة الإخلاص. النبي صلى الله عليه وسلم بين لنا حكما محكما بيِّنا واضحا كالشمس قال ﷺ: **(إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغي به وجهه)**. إن لم يكن قصدك خالصا، إن لم تكن نيتك صافية تريد وجه الله لا غير لا يمازج هذه النية قصد آخر هاهنا تكون مخلصا.

الإخلاصُ: قصد المعبود سبحانه وحده بالتعبد وتصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين واجتناب الشرك الجلي والخفي. من كان كذلك كان مخلصا.

عبد الله! جئت من مكان بعيد ودفعت المال الكثير وفارقت أهلك وأولادك مدة طويلة ستكون بعيدا عن وطنك وأحبابك. إن كنت فعلت كل ذلك لترجع كما جئت فأنت وشأنك. أما إن كنت جئت تريد أن تفوز برضوان الله جئت تريد أن تفوز بمغفرة الله فضع نصب عينيك هذين الأمرين: الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ.

كل خطوة تخطوها في الحج عليك أن تتحقق من كونها موافقة لهدي النبي ﷺ لا ترفع رجلك ولا تضعها في موضع من مواضع الحج إلا وقد تأكّدتَ أنّ النبي ﷺ هكذا فعل.

والإخلاص لله تصفي قصدك وتخلص نيتك تريد وجه الله لا تريد شيئا آخر، لا تريد أن يقال لك يا حاج إذا عدت إلى البلد.

بعض الناس هذه النية تغلب عليهم يريد أن يحج حتى إذا عاد يحرز هذا اللقب يقال له الحاج فلان فيكون له التكريم ويكون له التعظيم ويكون له التقديم. هذا ما فاز من حجه إلا بكلمة حاج؛ لأن نيته مغشوشة ولأن قصده مدخول.

بعض الناس يحج ويكثر حتى يتفاخر فيقول والله أنا حججت عشرين حجة وحججت ثلاثين حجة. حذار يا عبد الله اكتم عملك أتريد وجه الناس؟ إذن اذهب إليهم واطلب الثواب منهم لا من الله. النبي ﷺ أخبر عن ربَّه أنه قال: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**. إن كنت تريد ما عند الناس فاطلب ثواب عملك منهم. أمّا إن كنت تريد ما عند الله فعليك أن تقصد وجه الله ولا أن يكون عملك مكتوما مسرورا أو تسر به خير لك والله وأفضل من أن تعلن به فيشوب النية ما يشوبها.

بعضَ الناس إذا حَجَّ والحج يا رعاكم الله فيه اختلاط بالناس لا يكاد أن يتفرغ فيه الإنسان وحده، بل لا بد أن يكون مع من حوله فربما يأتي الشيطان أحدنا فيقول حسن صلاتك أظهر الضراعة في الدعاء بيّن أنك تبكي حتى يمدحك الناس حتى تكبر في أعينهم. انتبه يا عبد الله! حذار يا عبد الله! والله إنّ هذا العمل المغشوش المدخول غير مقبول **(إنَّ الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغي به وجهه)**. الله أمر بعبادة مخلصة ليس بأي عبادة **﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾** [الزّمر: 2]. **﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾** لاحظ أنّ القضية أمر من الله وهذا أمر

إلى أعظم المخلصين وأعظم العابدين وهو النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بمن دونه؟ **﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ﴾** على أيِّ حال؟ **﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾** [الزّمر:11].

لا بد من الإخلاص لا بد من الإخلاص يا عبد الله! قال النبي ﷺ: **(بشِّرْ هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين)** لكن انتبه ماذا قال بعدها؟ **(فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب)**. إنّا لله وإنا إليه راجعون! انتبه يا عبد الله! راقب قلبك، حاسب نفسك واعلم أن للشيطان وسوسة وله نفخ وله همز وله نفث. النية تتقلب والشيطان في كل ساعة ربما دقيقة ربما يبث فيك ما يبث. حذار يا عبد الله راقب نفسك.

هذا الشرك الذي هو الرياء الذي سماه النبي ﷺ بالشرك الأصغر والشرك الخفي وشرك السرائر ما سماه النبي ﷺ ذلك عبثًا فيه خفاء ربما يتسلل إلى الإنسان على حين غفلة منه. قال النبي ﷺ: **(ألا أخبركم بما هو أخوف عندي عليكم من المسيح الدجال)**. سبحان الله! المسيح الدجال أعظم فتنة خلقها الله منذ آدم وإلى قيام الساعة. لكن النبيّ ﷺ يخاف على هذه الأمة ما هو أشد من الدجّال **(قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)**. يقوم يصلي ويلحظ أن فلانا ينظر إليه ماذا يصنع؟ يحسن الصلاة ويزوقها ويزينها يطيل القيام والركوع ويظهر التخشع والنتيجة أنّه وقع في الشرك.

انتبه يا عبد الله واعلم أنّ الله ﷻ هو الذي يأتي النفع من عنده سبحانه وتعالى ليس من عند أحد نفع إلا أن يشاء الله. **(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا**

بشيء قد كتبه الله لك). استرح ريح نفسك. كل الناس مهما بلغوا والله لن ينفعوك بشيء ولا حتى بمثقال ذرة ما ينفعوك إن لم يشأ الله نفعك والله من انتفعت منهم بشيء مدحوك رفعوك أعطوك أثنوا عليك كل ذلك لا قيمة له إن لم يكن الله عز وجل شاء أن يرفعك وشاء أن ينيلك الحسنى. كل هذه الأمور لا قيمة لها فاحرص على أن يستوي عندك في عملك مادحك وذامك، إن مدحوك أو ذموك فالأمر سواء؛ لأنك لا تعاملهم أنت تراقب الله أنت تعبد الله أنت عبد لله فقصدك له. ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾ [النّجم:42] لمن المنتهى يا إخوتاه؟ إلى الله. منتهى القصد ومنتهى النية ومنتهى العمل ومنتهى القول ومنتهى الاعتقاد كل ذلك إلى الله. هكذا أولياء الله الصالحون وهكذا عباده المتقون. ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة:27].

أسأل الله جلّ وعلا أن يرزقني وإياكم الإخلاص والقبول.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

والله تعالى أعلم وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.